كنت أجلس على الأريكة أتطلع إلى شاشة التليفزيون وأسترق النظر إلى أخي آملا أن يلتفت إليّ فأرى وجهه كاملا. وكان عبد الناصر جالسا بجواري. كان ذلك محض خيال أو تمن، أقصد وجود عبد الناصر جالسا على الأريكة، أما أخي فكان حاضرا أراه كمًا أرى سقوط السجن أمام عيني.

* * *

كتب الناظر.

شبح يطوف بالقلعة.

رآه الحراس أولا. رأوه مرتين في ليلتين متعاقبتين. وفي الليلة الثالثة يصيح أحدهم فيه: تكلم، آمرك أن تتكلم، ولكن الشبح يختفي صامتا كما ظهر، ملكا قتيلا، مُدَرَّعاً برداء الحرب «ينذر بانفجار ما، انفجار غريب في الدولة». يسأل الأمير الشبح: «هل تحمل روحا طيبة أم شيطانا ملعونا، هل تأتي برياح الجنة أم بنار جهنم؟» يقول الأمير: «سأسميك أبي» يقول: «ما معني أن يقوم جسد ميت في كامل فولاذ درعه ليعودني وينظر وجه القمر؟ لماذا تأتي لتزعزع أفكارنا بمطلب لا تطوله أرواحنا، قل لماذا؟ وإلي أين؟ وماذا نفعل؟» يقول: «سأتبعه»، يحذره رفاقه: «قد يأخذك إلى الفيضان، أو إلى قمة تسحبك إلى هاوية البحر ويتخذ شكلا آخر يسلب عقلك ويحملك إلى الجنون، في هذا المكان يا سيدي ما يثير اليأس فيمن تحدق عيناه في أعماق البحر وينصت إلى هدير أمواجه.» يقول الشبح «أوشكت ساعتي،» يُعلم الأمير أنه محكوم عليه بالعيش في عذاب محبسه طول النهار، وفي الليل يطوف في ضواحي القلعة. يقول الولد: «يا مسكين!» يقاطعه الأب: «لا تشفق علي اسمعني... أذاعوا في الناس كذبا، قالوا لدغه ثعبان وهو يقيّل في الحديقة. اعرف أيها الشاب النبيل أن الثعبان الذي لدغ حياة أبيك يرتدي تاج ملكه، صب السم في أذني وأنا نائم، فسرى سريعا في مسالك الجسد، تخثر الدم الصحيح، لم يعد كالحليب حليبا، تجبَّن وطفحت على جلدي الناعم قشرة كريهة غطته كاملا.»